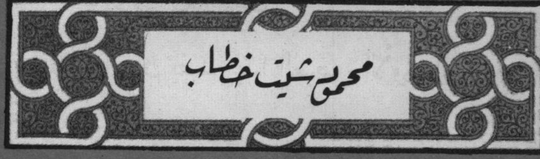


اقباس من العسكرية الإسلامية في القرآن الكريم

أردت أن أتحدث في الندوة العالمية عن موضوع لا يزال بكرا هو : **العسكرية الإسلامية في القرآن الكريم**.

ولكن لم يكن في الندوة متسع من الوقت فقد خصصت ساعتين لمعالجة قضيتين هامتين حيويتين هما : القرآن الكريم أولا ، ومشكلة القدس وفلسطين ثانيا .....

وكل قضية من هاتين القضيتين بحاجة إلى أمسيات أربعة أيام من أيام الندوة ، لإشباعهما بحثا وتمحيصا .

وكان البحث عن : العسكرية الإسلامية في القرآن الكريم ، جزءاً من ساعة واحدة خصصت للقرآن الكريم لذلك لم أستطع أن أتحدث في الوقت المخصص لي في الندوة ، وهي عشرون دقيقة (فقط) ، إلا عن رؤوس المواضيع لهذا البحث المستفيض .

ولست أريد هنا أن أوفي الموضوع حقه ، حسبي أن أدل على الكنوز العسكرية في القرآن الكريم ولئن جعل الله في العمر بقية ، وأمدني بعون من عنده ، فسأنهض بإذن الله بمهمة عرض هذا الموضوع في كتاب خاص ، بعد

اللواء الركن محمود شيت خطاب : من كبار العسكريين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية .

أن عالجت الجانب اللغوي من العسكرية الإسلامية في الكتاب العزيز بكتابي المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ، في جزءين كبيرين .

والله أسأل أن يفيد بهذا العرض الأولي السريع ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .



التدريب الفردي

التدريب الفردي للمسلم عسكريا ، هو غرس الخصال العسكرية في خلق الجندي المسلم وسلوكه غرسا يجعل منه مقاتلاً من الطراز الأول .

وقد جاء في **كتاب الخدمة السفرية** ، وهو أوثق المصادر العسكرية : أن الجندي لا بد أن يتمتع بالطاعة والصبر والشجاعة والثبات ، وأن يضحي بماله ونفسه في سبيل تحقيق أهداف أمته ومصلحتها العليا .

حث الإسلام على (**الطاعة**) **وهي الضبط والنظام** كما نطلق عليها في التعابير العسكرية الحديثة .

وقد وردت (**طاع**) ومشتقاتها في تسع وعشرين ومائة آية من آيات الذكر الحكيم .

قال تعالى : (**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**) (١) .

وأشاع الإسلام معاني الخلق الكريم ، ومنه الصبر الجميل ، قال تعالى : (**ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) (٢) ، وقال تعالى : (**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ**) (٣) وقال تعالى : **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**) (٤) .

وغرس الإسلام روح الشجاعة والإقدام : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) (٥) .

---

(١) جزء من الآية الكريمة رقم ٢٨٥ من سورة البقرة .
(٢) جزء من آية من سورة **النحل** رقم ١١٠
(٣) جزء آية من سورة آل عمران رقمها ٢٠٠
(٤) جزء آية من سورة البقرة رقمها ١٧٧
(٥) الآية الكريمة من سورة الأنفال ورقمها ١٥.

والتولي يوم الزحف من الكبائر ، كما نص على ذلك حديث رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام) . . .

وأمر الإسلام بالثبات في ميدان القتال ، قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا**)(١) .

ودعا الإسلام إلى الجهاد بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله ، قال تعالى : (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)(٢) .

وقال تعالى : (**انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ**)(٣) وفي هذه الآية سبق المسلمون العالم إلى مفهوم الحرب الإجماعيه التي تنص على : إعداد الأمة بطاقاتها المعنوية والمادية للحرب .

وبيّن الإسلام أن **المصلحة العليا** لا بد أن تكون لها الأسبقية على كل شيء في الدنيا ، قال تعالى : (**قُلْ : إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**)(٤) .

وجعل الإسلام مقام الشهداء من أعظم المقامات ، وقال تعالى : (**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**)(٥) ، وقال تعالى (**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ ، بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ**)(٦) ، وقال تعالى : (**وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**)(٧) .

ولا أعلم عقيدة عسكرية في العالم ، جعلت الحياة المستمرة الدائمة للشهيد غير العقيدة العسكرية الإسلامية .



---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال ورقمها ٤٥ .
(٢) من سورة الحجرات ورقمها ١٥ .
(٣) من سورة التوبة ورقمها ٤١ .
(٤) الآية الكريمة من سورة التوبة ورقمها ٢٤ .
(٥) من سورة النساء ورقمها ٦٩ .
(٦) من سورة البقرة ١٥٤ .
(٧) من سورة النساء ورقمها ٧٤ .

الحوافز المادية

ولكن

القول بأن الحوافز الروحية وحدها هي التي تؤجج في المؤمن الحق روح القتال قول غير كافٍ بل الواقع أن في الإسلام **حوافز (مادية)** لا تقل أهمية عن الحوافز (الروحية) تعمل جنباً لجنب لترصين تكوين الجندي المسلم الذي لا يهزم أبداً.

ومن أهم الحوافز المادية: عدم الاستهانة بالعدو أولاً، والإعداد الحربي تدريباً وتسليحاً وتنظيماً وتجهيزاً وقيادة ثانياً.

لقد استهان المسلمون بعدوهم يوم (حنين) فغلبوا على أمرهم في الصفحة الأولى من صفحات ذلك اليوم العصيب. قال تعالى: (**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**)[١].

والحذر واليقظة من مظاهر عدم الاستهانة بالعدو، قال تعالى: (**وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**)[٢]، وقال تعالى: (**وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ واحْذَرُوا**)[٣] وقال تعالى: (**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ**)[٤] وقال تعالى: (**فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**)[٥].

إن الاستهانة بالعدو، تؤدي حتماً إلى الانحدار، وما أصدق المثل العربي القائل «إذا كان عدوك نملة، فلا تنم له».

والإعداد الحربي إعداداً متكاملاً، يرفع المعنويات، ويقوي الثقة بالنفس، ويلهب مزايا الجندي الحق قال تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ ومِنْ رِباطِ الْخَيْلِ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شيءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُم. وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**)[٦].

وقال تعالى: (**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**)[٧].

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة ورقمها ٢٥.
(٢) جزء من الآية ١٢٢ من سورة التوبة.
(٣) من الآية ٩٢ من المائدة.
(٤) ٧١ من سورة النساء.
(٥) من الآية ١٠٢ من النساء.
(٦) ٦٠ الأنفال.
(٧) من الآية ٢٥ من الحديد.

معادلة الحرب النفسية

إن الهدف الحيوي من الحرب ، هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو ، فإذا انتصر عليه في ميدان الحرب ، واستطاع أن يحطم طاقاته المادية ، فلا بد من جهود أخرى لتحطيم طاقاته المعنوية ليكون النصر كاملا يؤدي إلى الاستسلام .

وهنا يبدأ دور الحرب النفسية ، التي تستهدف الطاقات المعنوية بالدرجة الأولى . وفي تاريخ الحروب أمثلة لا تعد ولا تحصى عن انتصارات استطاعت القضاء على الطاقات المادية ، ولكنها لم تستطع القضاء على الطاقات المعنوية ، فكانت انتصارات ناقصة استمرت مدة من الزمن — ثم أصبح المهزوم منتصراً وأصبح المنتصر مهزوماً .

فكيف يصاول القرآن الكريم الحرب النفسية ، ليصون معنويات المسلمين من الانهيار ؟ كيف يحافظ القرآن الكريم على المعنويات العالية للمسلمين في أيام الحرب والسلام على حد سواء .

ولعل من أهم أهداف الحرب النفسية هي : التخويف من الموت والفقر ومن القوة الضاربة للمنتصر ومحاولة جعل النصر حاسما ، والدعوة إلى الاستسلام وبث الإشاعات والأراجيف ، وإشاعة الاستعمار الفكري بالغزو الحضاري ، وإشاعة اليأس والقنوط .

المؤمن حقاً لا يخشى الموت ، قال تعالى : **إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**) [١] وقال تعالى (**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**) [٢] وقال تعالى : (**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ**) [٣] ، وقال تعالى : (**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**) [٤] . وقال تعالى : (**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ**) [٥] .

ان المؤمن حقا ، يعتقد اعتقاداً راسخاً ، بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، وما أصدق قولة خالد بن الوليد رضي الله عنه : «ما في جسمي شِبْرٌ إلا وفيه طعنة رمح أو سيف ، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

---

(١) من الآية ٤٩ من سورة يونس .
(٢) ٢٤ من سورة الأعراف .
(٣) من سورة آل عمران ١٤٥ .
(٤) من سورة النساء ورقمها ٧٨ .
(٥) من سورة ال عمران ورقمها ١٥٤ .

والمؤمن حقاً لا يخاف الفقر لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى ، وقال تعالى (**إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [١] ، وقال تعالى (**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**) [٢] ، وقال تعالى : (**فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) [٣] .

والمؤمن حقاً لا يخشى قوات العدو الضاربة ، فما انتصر المسلمون في أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم بعدةٍ أوْ عَدَدٍ ، بل كان انتصارهم انتصار عقيدة لا مراء ... قال تعالى : (**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ . كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**) [٤] ، وقال تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**) [٥] ، وقال تعالى : (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ، لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**) [٦] .

والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام في حماية عقيدته ، لذلك فهو موقن بأن الانتصار في معركة قد يدوم ساعة ، ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة ، قال تعالى : (**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**) [٧] .

والمؤمن حقاً لا يستسلم بعد هزيمته ، لأنه يعلم بأن بعد العسر يُسْراً ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . وقال تعالى : (**وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**) [٨] ، وقال تعالى : (**وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) [٩] .



والمؤمن حقاً لا يصدق الإشاعات والأراجيف ، قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ**

---

(١) من الآية ٣٧ من آل عمران .
(٢) من الاثنين ٢/٣ من الطلاق .
(٣) من الآية ٢٦ من الأنفال .
(٤) من الآية ٢٤٩ من البقرة .
(٥) ٦٥ الأنفال .
(٦) ١٧٣ . ١٧٤ . من سورة آل عمران .
(٧) من الآية ١٤٠ من سورة آل عمران .
(٨) ٨ من سورة المنافقين .
(٩) ٦٥ من سورة يونس .

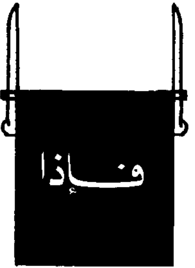
فَتَبَيَّنُوا) (١) وقال تعالى : (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) (٢) ، وقال تعالى : (وإذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (٣) .

والمؤمن حقاً يقاوم الاستعمار الفكري ويصاول الغزو الحضاري ، لأن له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المباديء الوافدة التي تُذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود .

والمؤمن حقاً لا يقنط ولا ييأس من نصر الله ورحمته ، قال تعالى : (لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) (٤) وقال تعالى : (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ الاَّ الضَّالُّونَ) (٥) ، وقال تعالى : (وإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إذا هُمْ يَقْنَطُونَ) (٦) ، وقال تعالى : (وإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ) (٧) .



حرب عادلة



تذكرنا أن الجهاد في الإسلام ، يهدف إلى حماية حرية نشر الدعوة الإسلامية ، وإلى نشر السلام ، وإلى الدفاع عن دار الإسلام .
واذا تذكرنا أن تعاليم القتال في القرآن الكريم ، تنص على الوفاء بالعهود ، واحترام المواثيق ، والترفع عن الظلم والعدوان ، وإقرار السلام .
إذا علمنا أهداف القتال في الإسلام وتعاليمه ، علمنا بأن المسلم يؤمن إيمانا عميقاً بأنه يخوض (حربا عادلة) وهذه الحرب حافز جديد تجعل من المؤمن مقاتلا رهيبا كما يعبر عنه العسكريون المحدثون .

---

(١) من الآية (٦) من سورة الحجرات .
(٢) من الآية ٦٠ من الاحزاب .
(٣) من الآية ٨٣ من سورة النساء .
(٤) من الآية ٥٣ من الزمر .
(٥) من الآية ٥٦ سورة الحجر .
(٦)ـ ٣٦ الروم
(٧) من الآية ٤١ من سورة فصلت .

تلك هي تعاليم القرآن الكريم التي تجعل من المؤمن الحق ، مطيعاً لا يعصى ، صابراً لا يتخاذل شجاعاً لا يجبن ، مقداماً لا يتردد ، مقبلا لا يفر ، ثابتاً لا يتزعزع ، مجاهداً لا يتخلف ، مؤمناً بمثل عليا مضحيا من أجلها بالمال والروح ، يخوض حرباً عادلة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل .

لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة في الأرض ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والإشاعات ، لا يستكين للاستعمار الفكري ، ويقاوم الغزو الحضاري ، ولا يقنط أبداً ولا ييأس من رحمة الله .

هذا المسلم الحق ، يقظ أشد ما تكون اليقظة ، حذر أعظم ما يكون الحذر ، يتأهب لعدوه ويعد العدة للقائه ، ولا يستهين به في السلم أو الحرب .

وهذا ما يفسر لنا سر الفتح الإسلامي العظيم الذي امتد خلال ثمانين عاما من الصين شرقا إلى فرنسا غربا ومن سيبيريا شمالا إلى المحيط الهندي جنوبا . ذلك لأن شعار المسلمين كان : (قُلْ : هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ)[1] النّصر أو الشهادة .

وذلك لأن المسلمين كانوا يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة .

ذلك فيض من فيض ما جاء في القرآن الكريم عن : العسكرية الإسلامية وهناك بحوث فذة في القرآن الكريم في : التولي يوم الزحف السلام في الاسلام ، عقاب المتخلفين في الإسلام ، الشهيد في الإسلام ، وغيرها من البحوث ، لعل الله يعينني على استيفائها بكتاب خاص .

تلك هي عظة القرآن الكريم حتى في المجالات العسكرية ، ولكن يا ليت قومي يعلمون .



(١) من الآية ٥٢ التوبة .